مؤلف جماعي:

منطقة تساوت:

التاريخ، المجال، المجتمع، والتنمية وتثمين الرأسمال اللامادي.

الجزء الأول

تنسيق

عبد المجيد السحنوني رشيد شحمي

محمد كنتيتي عبد الرحيم عياد

الطبعة الأولى

مؤلف جماعي

منطقة تساوت:
التاريخ، المجال، المجتمع، والتنمية وتثمين الرأسمال اللامادي

تنسيق:

- عبد المجيد السحنوني
- رشيد شحمي
- ذمحمد كنتيتي
- عبد الرحيم عياد

الطبعة الأولى

عنوان الكتاب: منطقة تساوت: التاريخ، المجال، المجتمع، التنمية وتثمين الرأسمال اللامادي

المؤلف: مؤلف جماعي

رقم الإيداع القانوني: 2024MO4743

ردمك: 978-9920-28-773-9

طبعة: 2024

المطبعة : SO-ME PRINT Agadir

الهاتف: 88 79 22 28 05

البريد الإلكتروني: contacsome@gmail.com

© جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

لجنة التحكيم

- د. إبراهيم أزوغ، جامعة مولي الحسن الأول سطات.
- د. حسن رامو، جامعة محمد الخامس، الرباط.
- د. حميد أجميلي، جامعة ابن طفيل، المغرب.
- د. خالد الرامي، جامعة عبد المالك السعدي تطوان.
- د. خالد أوعسو، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء.
- د. عالي واعزيز، جامعة محمد الخامس الرباط.
- د. عبد المجيد السحنوني، جامعة محمد الخامس الرباط.
- د. عبد المجيد أمريغ، جامعة ابن زهر أكادير.
- د. عبد النور صديق، جامعة محمد الخامس الرباط.
- د. محمد أبيهي، جامعة محمد الخامس الرباط.
- د. محمد المغبر، جامعة القاضي عياض مراكش.
- د. مولي إسماعيل الناجي، جامعة ابن زهر أكادير.
- دة. خديجة اليعقوبي القباقبي، جامع القاضي عياض مراكش.
- دة. رتيبة ركلمة، جامعة ابن زهر أكادير.
- دة. عبد الرحيم خالص، جامعة ابن زهر أكادير
- دة. فاطمة بوشمال، جامعة مولي سليمان بني ملال.
- دة. عزيزة خرازي، جامعة مولي سليمان بني ملال.

- د. أنوار أصبان، أكاديمية التربية والتكوين مراكش.
- د. هشام بويزكارن، اكاديمية التربية والتكوين بني ملال.
- دة. سناء زعيمي، أكاديمية التربية والتكوين مراكش.

محتوى الكتاب

تقديم 1

إبورك يونس:

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ليهود ملاح السراغنة زمن الجوع (1944- 1945) 3

لحسن الصديق:

الصراع القبلي في حوض تساوت ما قبل الاستعمار: قبيلتا انتيفا وولتانة نموذج 17

رشيد عابدي:

تاريخ الولاية والصلاح في بلاد تساوت: من المقاربة الوظيفية إلى المقاربة الأنثروبولوجية 35

توفيق عدية، عبد العزيز العربي، عبد الصادق بلفقيه:

التغايرية المناخية وتواتر سنوات الجفاف وتأثيرها على الموارد الترابية بحوض تساوت 51

الملوكي محمد توفيق، عبد الصادق بلفقيه، عبد العزيز العربي:

دور جمعيات مستعملي مياه السقي في التدبير الاجتماعي للماء حالة تساوت السفلى بإقليم قلعة السراغنة 66

ازرورة ياسين:

الإعداد الهيدروفلاحي ومساهمته في استدامة الإنتاج الفلاحي بالمجال السرغيني.....84

فيصل حياني، محمد الأكلع:

الزحف العمراني على حساب الأراضي الزراعية بِمَدينَة قَلعَة السَّرَاغِنة 106

نورالدين الحباش

دينامية إحداث التجهيزات الراقية الخاصة وإعادة تشكيل العلاقات الترابية الحضرية، نموذج المدن الصغرى بمنطقة تساوت الوسطى (الحوز الشرقي). 130

قاسمي أمين، محمد الأكلع

الإدارة الرقمية ورهانات التنمية الترابية -جماعة قلعة السراغنة نموذجا- 146

الجيلالي لكتاتي:

الذكاء الاصطناعي والبناء الافتراضي للمعالم التاريخية: منطقة السراغنة زمران نموذجا 171

Khanniba Abdelilah -Benbouya Hassane

Détection de changement spatiale du couvert végétal (1987-2014) et ses impacts sur la stabilité des terrains du bassin versant de l'oued Ourous...... 185

تاريخ الولاية والصلاح في بلاد تساوت

من المقاربة الوظيفية إلى المقاربة الأنثروبولوجية

رشيد عابدي،

باحث بسلك الدكتوراه كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس-فاس

ملخص:

تتعدد المقاربات التي يمكن من خلالها دراسة ظاهرة الولاية والصلاح بالمغرب عموما، وفي بلاد تساوت بصفة خاصة، اقتصر هذا المقال فقط على مقاربتين، هما المقاربة الوظيفية والمقاربة الأنثروبولوجية، فمن خلال الأولى سلطنا الضوء على مختلف الوظائف والأدوار التي لعبها أولياء بلاد تساوت، والتي اختلفت بين الأدوار العلمية والدينية التي تعتبر الوظيفة الأساسية للزوايا، وكذلك الأدوار الاجتماعية كالإيواء والاطعام التوسط والتحكيم وإعمار الأرض إضافة إلى الأدوار الاقتصادية كتطوير الفلاحة. أما المقاربة الأنثروبولوجية فقد مكنتنا من فهم الزاوية في حد ذاتها باعتبارها بنية ثقافية واجتماعية، سواء من حيث المرتكزات التي تقوم عليها قدسية أولئك الشيوخ أو من حيث معرفة العناصر التي يمكن من خلالها تمييز زاوية عن أخرى، بالإضافة إلى تحليل الرموز الثقافية التي يتأسس عليها الخطاب الصوفي.

Résumé :

Il existe de nombreuses approches à travers lesquelles on peut étudier le sujet du soufisme et maraboutisme, au Maroc en général, et dans la région de Tassaout en particulier. Cet article focalise seulement sur deux approches, à savoir l'approche fonctionnelle et l'approche anthropologique , la première met le projecteur sur les différentes fonctions et rôles joués par les saints de Tassaout, qui différaient entre Des rôles scientifiques et religieux, considérés comme la fonction de base des zawiyas, ainsi que des rôles sociaux tels que se loger, se nourrir , la médiation, l'arbitrage et le peuplement de l'éspace , en plus des rôles économiques tels que le développement de l'agriculture. Quant à l'approche anthropologique a permis d'appréhender la zawiya en elle-même comme une structure culturelle et sociale, que ce soit en termes de fondements sur lesquels repose le caractère sacré de ces cheikhs ou en termes de connaissance des éléments à travers lesquels une zawiya peut être distingué d'un autre, en plus d'analyser les symboles culturels sur lesquels repose le discours soufi.

مقدمة

تعددت الكتابات حول ظاهرة الولاية والصلاح بالمغرب، إذ نجد الكتابات التقليدية المتمثلة فيما عرف بكتب المناقب والتي اهتمت بمناقب الصلحاء وكراماتهم، وهي الكتابات التي تم تأليفها في الغالب من طرف أبناء العائلات المرابطية أو المريدين. النوع الثاني يتمثل في الكتابات الكولونيالية والتي درست الزوايا في إطار المشروع السياسي الاستعماري الذي يسعى إلى فهم المجتمعات المحلية لضبطها من جهة وحسن استغلالها من جهة أخرى، وهذه الأخيرة اعترتها العديد من النقائص للأحكام المسبقة والمغالطات التي كانت تروجها. بالإضافة إلى ما ذكر سادت أيضا كتابات سلفية، هاته الأخيرة انقسمت إلى فرقين، الأول هاجم ظاهرة الصلحاء والزوايا كبدعة تمس جوهر العقيدة وتجانب الاسلام الصحيح، والثاني حاول الانتصار للصلحاء حيث اعتبرهم ورثة الأنبياء وبالتالي فإن خص الله الرسل بالمعجزات، فقد خص أيضا الأولياء ببعض الكرامات.

سنحاول في هذا المقال التركيز على تجاوز تلك المقاربات التقليدية في دراسة الزوايا، وذلك بتسليط الضوء على ظاهرة الصلاح ببلاد تساوت اعتماد على مقاربات جديدة،

وهكذا ففي المقام الأول سنسلك مقاربة وظيفية نستعرض خلالها مختلف الوظائف التي لعبها الأولياء خدمة للمجال الذي استوطنوه، أما في المقام الثاني فسنعتمد على مقاربة أنثروبولوجية نسعى من خلالها تجاوز الأحكام المسبقة والحرص على تحليل ودراسة ظاهرة التصوف والزوايا لفهمها كنسق ثقافي، باعتبارها إحدى أهم عناصر بنية المجتمع وذلك في علاقتها بالمعتقدات الدينية والمخيال الشعبي، وذلك بالارتكاز على نماذج من بعض أولياء السراغنة وزمران.

أولا: المقاربة الوظيفية

تناولت الكتابات الاكاديمية موضوع الزاوية بمقاربات مختلفة، من أهم تلك المقاربات نجد المقاربة الوظيفية ونسعى من خلالها إلى توضيح مختلف الوظائف التي لعبتها الزوايا عبر التاريخ، وهي وظائف متعددة منها ما هو ديني وما هو اجتماعي وما هو سياسي وما هو اقتصادي...، وبطبيعة الحال فمختلف هذه الوظائف نجدها حاضرة عند أولياء بلاد تساوت ومن أهمها نذكر ما يلي:

1- إعمار الأرض:

نجد في مختلف المصادر إشارات حول العديد من المناطق التي كانت عبارة عن خلاء، لكنها تحولت إلى تجمعات سكانية مهمة بعد استقرار شيوخ الزوايا فيها، مما يؤكد الدور الكبير لهؤلاء الصلحاء في إعمار الأراضي في المغرب عموما، وفي بلاد تساوت بشكل خاص.

ومن الأمثلة العديدة على ذلك ببلاد تساوت نذكر على سبيل المثال سيدي علي الكتا الذي انتقل إلى بلاد تساوت(ق13/6م)، وبعد استقراره بها كان حفدته سببا في إعمار تلك الأرض التي كانت غابوية وشبه فارغة من السكان. ومن الأمثلة الأخرى على هذا الدور نذكر الزاوية الناصرية التي اتخذت من اكادير بوعشيبة مقرا لها فتحولت إلى مجمع سكني يشبه مدينة قائمة بذاتها.

ونشير في هذا الإطار أيضا إلى سيدي أحمد الشريف، أحد صلحاء ازنادة، والذي يعزى إليه تعمير تلك المنطقة التي كانت أيضا شبه فارغة إلى حدود القرن التاسع عشر، ويسجل لنا الموروث الشعبي هذه الأدوار التي لعبها شيوخ الزوايا كما تظهر ذلك الاغنية التراثية التالية: "سيدي أمحمد الشريف عمر لينا بلادنا قري لينا أولادنا".

تطوير الفلاحة

ساهم شيوخ الزوايا بالمغرب عمو ما كما هو الشأن بمنطقة السراغنة في تطوير الاقتصاد الزراعي إما عن طريق ممارسة الفلاحة بأنفسهم، أو تلقين تقنياتها للمريدين والأتباع وحثهم على مزاولة هذا النشاط الحيوي الذي يوفر الأمن الغذائي للناس. وقد كان هؤلاء الصلحاء يساهمون في تطوير النشاط الفلاحي كذلك بالسهر على إنجاز ومراقبة التجهيزات الهيدروليكية كالآبار والسواقي، حتى أن أحد أولياء تساوت عرف باسم "سيدي فراق المياه"[1]، وقد كانت الساقية السلطانية التي تعتبر أهم المشاريع المائية في بلاد تساوت، تحت نظر الولي الصالح سيدي التهامي الناصري[2]. الشيء الذي مكن من ضمان نوع من التوازن والاستقرار لاستغلال هذه المنطقة، وهو الشيء الذي انعكس بالإيجاب حيث تم استغلال الأراضي الشاسعة المجاورة لها، والتي اشتهرت بمنتوجاتها المتنوعة.

وقد لا نبالغ إذا قلنا أنه لولا صلحاء تساوت لكان من الصعب العيش في هذه المنطقة، وهكذا فبفضل سيدي حسين الناصري الذي مارس أشغال الغرس والفلاحة واستقدم لذلك مجموعة من الصحراويين إلى زاوية تكلاوت –أكادير بوعشيبة، فتمكن بفضل جهوده من تحويلها إلى ما يشبه استغلالية فلاحية تأسست على المساحة المسقية لساقية تكلاوت، وذلك ما جعلها منطقة مناسبة لاستقرار العديد من الناس[3].

ومن الأمثلة الأخرى نذكر سي مصور الذي كان يوصي أولاده بتعاطي الفلاحة، وبفطناسة دوار أولاد مبارك كذلك كان سيدي عبد الرحمان بن الحاج سليمان فلاحا وكسابا. وقد كانت الزاوية أيضا تستغل مكانتها

[1] الحسن شوقي، صلحاء تساوت دراسة تاريخية، المطبعة والوراقة الوطنية الداوديات مراكش، ط2011/1، ص. 48

[2] يونس بن الهاشمي، أساليب الري التقليدي بالحوز الشرقي: أنموذج الساقية السلطانية، بحث لنيل شهادة الماستر، جامعة القاضي عياض السنة الجامعية 2015/2014، ص. 79

[3] الحسن شوقي، صلحاء تساوت ص. 45

الرمزية في القبائل لتقوم بمراقبة السواقي كما هو الشأن بالنسبة للساقية السلطانية أشهر السواقي التاريخية بالمنطقة[1]، التي كان لها دور مهم في ازدهار الفلاحة ببلاد السراغنة.

2- الأدوار العلمية والدينية :

تعتبر قبائل بلاد السراغنة وزمران من اهم القبائل الحافظة للقرآن في المغرب، ولعل هذه الشهرة في حفظ القرآن والاقبال على العلوم الدينية يمكن أن تفسر بالعدد الكبير من المدارس التي توجد بها، وهي المدارس التي أنشأها الأولياء ودرسوا فيها. وإلى جانب ذلك كانوا يمارسون عدة وظائف دينية وعلمية كالإمامة والوعظ والارشاد والامثلة على ذلك كثيرة نذكر منها الفقيه بن كروم الذي بنى مسجد القصور ودرس فيه ونشر العلم إلى وفاته سنة 1799، ومن الأمثلة الأخرى أيضا ذكر سيدي علي موسى في بروطة الذي كان يدرس في مدرسة القائد أحمد بن المؤذن (ق19) حيث احتضنوه لصلاحه وتدريسه ابناءهم[2].

3- الإيواء والإطعام :

يعتبر الايواء والإطعام من الوظائف الأساسية والدائمة لجميع زوايا المغرب، وهي من القيم التي تحدد السلوك الاجتماعي للأولياء الذين تتحول منازلهم وزواياهم إلى ملاجئ للخلاص الجماعي من الفقر والجوع وكذلك ظلم الحكام والمخزن، وتزداد هذه الوظيفة حيوية على الخصوص إبان الازمات كالجفاف. فالإيواء والاطعام ممارسة متأصلة في السلوم الصوفي بالمغرب واعتبر من الغايات التي من أجلها شرع الاجتماع في الرباطات والزوايا.

وما قيل على زوايا المغرب أعلاه يسري على كل الزوايا الموجودة بمنطقة السراغنة وزمران، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر زاوية سيدي ادريس التي عرفت منذ القديم عند كافة الناس كمأوى للسابلة والمنقطعين وغير الامنين وكذلك المغتربين.

4- التوسط والتحكيم

تعتبر الوساطة والتحكيم من أهم الوظائف التي لعبتها الزوايا بالمغرب، وقد كانت تمارسها بفعالية كبيرة نظرا للمكانة التي يحظى بها الصلحاء وشيوخ الزوايا لدى العامة والخاصة على السواء، وبذلك كانت الزاوية هي الملاذ عند استنفاذ كل المحاولات، ولم تكن تلك الوساطة في الصراعات القبلية فقط بل كانت تتدخل حتى في حال وجود صراع بين القبائل والمخزن أو بين ممثلي المخزن على المستوى المحلي وبين السلطة المركزية.

[1] نفسه ص. 49

[2] نفسه، ص. 59

هكذا إذن، كان للزوايا دور مهم في حقن الدماء في الكثير من الصراعات، ومكنت من توفير أهم شروط الازدهار وهو الأمن، بطبيعة الحال تصبح هذه الأدوار أكثر حيوية في الأوقات التي تضعف فيها السلطة المركزية حيث تحاول الزوايا ملء تلك الفراغات التي يخلفها ذلك الضعف. وفي هذا الإطار عرف الرحاليون بحل الخلافات حول الرعي والحرث والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين الاشخاص والفرق والقبائل، ويكون ذلك مقابل بعض الهدايا أو مقابل مالي.

بل أكثر من ذلك فمؤسس الزاوية الرحالية التي عاصرت فترة الاضطراب السياسي التي تلت نهاية الحكم الوطاسي وبداية الحكم السعدي، لعبت دورا هاما في تبديد الخلاف الذي قام حول الحكم بين محمد الشيخ السعدي وأخيه مولاي أحمد الاعرج بعد وفاة والدهما.

ونفس الشيء يقال عن الزاوية الناصرية التي حفظت الامن والاستقرار بفضل تواجدها بموقع حساس يعتبر حدا فاصلا بين قبيلة كلاوة وفطواكة الامازيغيتين وقبيلة أولاد وكاد المنتمية للسراغنة والمستفيدة من الساقية التي تمر بجوار الزاوية والتي تسمى بتكلاوت[1].

ثانيا: المقاربة الأنتربولوجية:

تسعى المقاربة الأنثروبولوجية إلى دراسة الزوايا كبنية ثقافية قصد فهمها من الداخل، فتحاول الكشف عن البنية الذهنية التي تساهم في تشكل مكانة الأولياء، وهي البنية التي تساعد في فهم الأسس التي تقوم عليها العلاقات بين مختلف مكونات المجتمع وتسمح لشيوخ الزوايا بأداء وظائفهم بفعالية، وهنا تبرز عدة مفاهيم كمفهوم البركة ومفهوم الكريزمة ومفهوم العار...، وسنسعى بدورنا لمحاولة فهم الزوايا في المنطقة من خلال تصنيفها بناء على عدة معاير، وسنحاول كذلك فهم تلك الأسس التي تقوم عليها قدسية الصلحاء، وسنختم تلك المحاولة بمقاربة زوايا المنطقة كنسق ثقافي يحبل بالرموز.

1- تصنيف الزوايا ببلاد تساوت[2]

من حيث الامتداد الروحي وعلاقته بالمجال الجغرافي يمكن أن نصنف الزوايا إلى زوايا لها امتداد واسع إلى المستوى الوطني، والذي يمكن أن تتعداه أحيانا إلى المستوى الدولي. هاته الأخيرة وجدت لها موطئ قدم في بلاد تساوت، مثل الزاوية القادرية والناصرية والتيجانية. وبين زوايا يقتصر امتدادها على المستوى الجهوي كما هو الشأن بالنسبة للزاوية الرحالية.

---

[1] نفسه، ص. 80.

[2] اعتمدنا في هذا التصنيف على الدراسة التي أنجزها فوانو حول زوايا مراكش والجهة المجاورة.

أنظر:

L. Voinot, « Les Zaouias de Marrakech et de la région voisine », R. G. M., N: 1/ 1937, p.p. 5-53

فمن حيث حجم الامتداد الروحي على المجال الجغرافي نميز بين ثلاثة أنواع من الزوايا، زوايا على امتداد وطني كبير، يتجاوز نفوذها الروحي أحيانا المغرب، وقد عرفت بلاد تساوت تواجد هذا النوع من الزوايا حيث استوطنت عدة فروع لهذه الزوايا الطرقية الكبرى، ومن أهم الزوايا الكبرى التي امتدت لبلاد تساوت نذكر على سبيل المثال القادرية والناصرية والتيجانية.

وهناك زوايا أخرى لم تصل ذلك الإشعاع الذي وصلته الأولى وبقي نفوذها الروحي منحصرا على المستوى الجهوي، نتحدث هنا عن زوايا أم تأسست ببلاد تساوت وانتشرت فروعها في عدة مناطق من المجالات المجاورة وأبرز مثال على هذا النوع الثاني يتجسد في الزاوية الرحالية. كما نجد نوعا آخر من الزوايا لم ينجح في خلق أي امتداد بعد التأسيس، نتحدث هنا عن زاويا ظلت مستقلة كما هو الشأن بالنسبة للزاوية الزعرية بين زمران والرحامنة (بني زيد).

1-1- زو ايا بلاد تساوت حسب توسع النفوذ والاشعاع:

الزو ايا الطرقية الكبرى

- القادرية:

زاوية أولاد سيدي منصور

زاوية سيدي الحطاب (بني عامر)

زاوية الحنون (أولاد فكرون)

زاوية سيدي الهواري(أولاد يعكوب)

زاوية ركراكة (بني عامر)

- **الناصرية**

زاوية سيدي الناوي (العنابرة)

زاوية سيدي عيسى بن سليمان(أولاد سلامة)

زاوية سيدي بوعزون (الفرايطة)

زاوية بن وافا (أولاد سلامة)

زاوية سيدي محمد بوحمدي مسناوة (أولاد سيدي رحال)

زاوية سيدي محمد بن بوزيد (أولاد خيرة)

زاوية سيدي علي بناصر (سيدي رحال)

- **التومية:**

زاوية سيدي بوعنان (أولاد يعكوب)

زاوية بمدينة القلعة

- **التيجانية**

فرع بأولاد خلوف

فرع بأولاد عراض

فرع بقلعة السراغنة

زوايا ثانو

- **الرحالية**

سيدي عبد الرحمان(القلعة)

سيدي علي بن النويتي(أولاد الشرقي)

مولاي رحال (أولاد سيدي رحال)

زاوية سيدي أحمد بن عبد العزيز(بوهولة)

سيدي إبراهيم بن كانون (العثامنة)

زاوية سيدي زعير بن اعلي (الشعرا)

سيدي علي الكتاوي(أولاد سيدي رحال)

زاوية اكتاوة (أولاد زراد)

- **الكتانية**

زاوية سيدي ادريس (أولادخلوف)

زاوية الفقيه سي المعطي بن الشيخ(فطناسة)

زاوية القلعة (حي العوينة)

- **زوايا مستقلة**

سيدي أحمد بن زينب (أولاد كايد)

سيدي عمر بن جبور(أولاد كايد)

الزاوية الزعرية بين زمران والرحامنة (بني زيد)

سيدي عمر بن الحسن(أولاد فكرون)

سيد أحمد بن عبد الله (أولاد فكرون)

سيدي أحمد بن منيار (بني عامر)

سيدي منصور بن عميري(أولاد بوعلي)

سيدي محمد بن التوهيمي(أولاد سلامة)

سيدي عبد الله بن مسعود(أولاد فكرون)

سيدي إبراهيم بن الشيخ (بني عامر)

سيدي بو محمد الصالح (بني عامر)

سيدي محمد بالكرن (الوناسدة)

2-1- زوايا بلاد تساوت حسب النسب الشريف:

المرتكز الثاني الذي يمكن ان نصنف به الزوايا هو الأصل الشريف، حيث يمكن ان نميز بين الشرفاء الأدارسة والشرفاء العلويين.

- **الشرفاء الأدارسة:**

سيدي إدريس على الواد الأخضر

سيدي بومحمد صالح، مول سبع سميات (أولاد أحمد)

سيدي موسى بن قرقور (أولاد سعيد)

سيدي إبراهيم بن كانون (العثامنة)

سيدي علي الكتاوة

سيدي موسى على واد تساوت

سيدي المعطي بن الشيخ (أولاد عيسى)

سيدي بوعنان (أولاد يعكوب)

- **الشرفاء العلوين:**

سيدي بلغيث (أولاد سلامة)

زاوية القراقرة

سيدي عبد الرحمان (أولاد يعكوب)

الفقيه بن كروم (أولاد سلامة)

2- مرتكزات"قدسية"الأولياء بالسراغنة وزمران

تقوم "قدسية" صلحاء بلاد تساوت، شأنهم في ذلك شأن سائر أولياء المغرب، على ثلاث مرتكزات أساسية: أولها الشرف السلالي، كرأسمال رمزي مهم يمتلكه الولي، ويكون ذلك بالانتساب إلى أهل البيت أو أحد الصحابة. ثم يأتي في المقام الثاني السند الصوفي الذي يكتسبه الولي بعد مسار علمي طويل يقوده إلى الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم وغالبا ما يتوج هذا المسار بمنحه الاذن لبناء زاويته الخاصة. هذا وتكتمل قدسية الولي بالاعتراف الرسمي من قبل المخزن.

2.1- الشرف السلالي: رأسمال رمزي موروث

مبدئيا يتوفر جل أولياء تساوت على رأسمال رمزي، موروث، يتمثل في الانتساب إلى آل البيت، وهو الأمر الذي توضحه شجرات النسب التي تكون معلقة في كل الزوايا، أو يكون مدونا في كتب المناقب، بل نجده حتى في المراسلات المخزنية. ومن الأمثلة على ذلك نورد هذا النص الذي يوضح نسب سلالة سيدي ادريس بالواد الأخضر إلى آل البيت: "...الشريف السيد محمد بن العربي بن علال بن محمد بن علي... ومن توصل اليه ... أبو زيد بن سيدنا ادريس... بن سيدنا الحسن المثنى بن سيدنا الحسن السبطي بن سيدنا على كرم الله وجهه والسيدة فاطمة بنت مولانا رسول الله... والحمد لله رب العالمين"[1].

بالإضافة إلى هذا الانتماء إلى آل البيت نجد العديد من الأولياء ينتسبون إلى أحد الصحابة خصوصا إل عمر بن الخطاب أو أبو بكر الصديق، فسيدي صالح الذي أصبح قبره مزارة للناس بمدينة قلعة السراغنة يقال انه من نسل الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب[2]. أما أولاد الشيخ ببني عامر فيدعون انهم من سلالة أبي بكر الصديق[3].

وهنا لا بد من الوقوف على المزايا التي يحققها هذا النسب العمري لبعض الصلحاء، أو النسب إلى نسل أبي بكر الصديق، حيث يمكن اعتباره وسيلة تضعهم في منأى عن الصراع السياسي الدائر حول السلطان والذي أصبح من متطلباته الانتساب لآل البيت. وفي نفس الوقت يميز هذا النسب الجماعة المرابطية عن العامة ويحفظ لها الامتيازات التي تتمتع بها، ومنها إمكانية الاقتران بامرأة تنتسب لآل البيت[4].

2.2- السند الصوفي: رأسمال رمزي مكتسب

ترتبط أجيال الأولياء بحبل يسميه الصوفية بالسند[5]، وعلى الأرجح جميع أولياء المنطقة اقتدوا بأسلوب صوفي واحد هو الأسلوب الجزولي الشاذلي الذي وضع مبادئه الشيخ محمد بن سليمان الجزولي. ولفهم مسألة السند الصوفي سوف نعتمد على زاوية لها علاقات متينة مع منطقة الدراسة، وهي الزاوية التي أسسها أبو عبيد الله الشرقي زوايا منطقة تادلا المجاورة لبلاد تساوت.

فقد أخذ الشيخ الشرقي عن والده سيدي أبي القاسم في زاويته بتادلا، وتوسعت أسانيده التباعية الجزولية الشاذلية على يد كبار شيوخها، فاخذ عن الشيخ محمد عبد الله بن ساسي، وعن الشيخ أبي محمد

[1] الحسن شوقي، صلحاء تساوت، ص. 43

[2] نفسه، ص. 73

[3] نفسه، ص. 92

[4] يكلماندیل، "الاسلام في المغرب"، ج 1، ترجمة محمد اعفيف، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1989، ص. 52

[5] عبد الوارث أحمد، "أولياء تادلا خلال ق16، ملاحظات أولية". ضمن ندوة: تادلا: التاريخ، المجال، الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 1993، ص57-58

عبد الله الغزواني، كما اخذ أيضا عن الشيخ أبي عبد الله بن عمر المختاري، وكلهم اخذوا عن الشيخ عبد العزيز التباع الذي اخذ عن القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي وهو الأصل بالمغرب ومنه تفرعت طريقة الشاذلي.

" الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي، اخذ عن الشيخ عبد الله أمغار، أخذ عن الشيخ سيدي عبد الرحمان الرجراجي، عن الشيخ أبي الفضل الهندي، عن الشيخ سيدي عنوس البدوي، عن الشيخ سيدي أحمد القرافي، عن الشيخ أبي عبد الله المغربي، عن القطب سيدي أبي الحسن الشاذلي، عن القطب سيدي عبد السلام امشيش، عن القطب سيدي عبد الرحمان المدني، عن القطب تقي الدين الفقير بالتصغير،...،عن القطب فخر الدين، عن القطب نور الدين، عن القطب تاج الدين، عن القطب شمس الدين، عن القطب زين الدين القزويني، عن القطب إبراهيم البصري، عن القطب أبي القاسم أحمد المرواني، عن القطب سعيد، عن القطب سعد، عن القطب فتح السعود، عن القطب سعيد الغزواني، عن القطب جابر، عن قطب الأقطاب الحسن السبط رضي الله عنه، عن أبيه سيدنا مولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، عن سيد الوجود سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، عن جبريل عليه السلام"[1].

ما يمكن إبداؤه حول سلاسل التصوف عموما أنها كلها، ماعدا القليل منها، ينتهي إلى علي ابن أبي طالب دون غيره من الصحابة وهو ما يجعل البعض يربط بين التصوف والتشيع [2]، أو على الأقل إرجاع منشأ التصوف إلى الإمام علي وذريته، وأن كل أقطاب وطرق التصوف نهلوا منها[3]، وهو الأمر الذي يستبعده البعض بحجة أن الإمام علي لم يكن أكثر أصحاب الرسول(ص) زهدا، خصوصا أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب[4].

2.3- الاعتراف الرسمي من المخزن: رأسمال رمزي ممنوح

تكتمل قدسية الولي وتبلغ أقصى مداها باعتراف سياسي رسمي من السلاطين. هذا الاعتراف يتم من خلال ظهائر التوقير والاحترام التي كان يحظى بها الأولياء والصلحاء في سائر جهات المملكة الشريفة. ويعتبر ذلك بمثابة مكافأة لهم نظير المجهودات التي يبذلونها في نشر العلوم وتلقين الناس أمور دينهم. وجل أولياء بلاد تساوت كانوا يحظون بظهائر التوقير والاحترام، حيث يحتفظون بها من جيل لآخر، ويدلون بها عند الحاجة لأنها تؤكد نسبهم الشريف الذي يميزهم عن العامة، وفي نفس الوقت كانت تلك الظهائر تضمن لهؤلاء الشرفاء عدة امتيازات كالإعفاء من سائر الأعمال والكلف المخزنية (الضرائب، السخرة، الحركة، المؤونة، الغرامة)[5].

[1] العروسي عبد الخالق، المرقي في مناقب القطب سيدي محمد الشرقي، تحقيق محمد الشرقاوي بن العربي، طوب بريس، الرباط، ط.1 . 2017، ص.ص. 300-301

[2] إلهي ظهير إحسان، "التصوف: المنشأ والمصادر"، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط.1، 1986، ص . 148

[3] أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباء، التعرف لمذهب أهل التصوف، بيروت 1993، ص. ص.21-22

[4] إلهي ظهير إحسان، التصوف: المنشأ والمصادر، م.س.، ص.97

[5] شوقي، صلحاء تساوت، م.س.، ص. 92

وقد كان المخزن أحيانا يتنازل لصالح الزوايا عن ضرائب منطقة معينة كما هو الشأن لهذا الظهير الذي يأمر فيه محمد الخامس بالتنازل عن جباية الضرائب لصالح حفدة الولي سيدي عيسى بن سليمان، على أن يتم تخصيصها لترميم الضريح: " يعلم من كتابنا هذا اسماه الله واعز امره أننا بحول الله وقوته أقررنا حملته الشرفاء حفدة الولي سيدي عيسى...على التصرف فيما يجبى لضريح جدهم المذكور من الهبات ويجلب له من الفتوحات على عادتهم مألوفة... على أن يقوموا بإصلاح الضريح فيما افتقر للإصلاح والترميم، والتمشي في ذلك على المنهج القويم إقرارا تاما فنأمر الواقف عليه من خدامنا وولاة شريف امرنا بإجرائهم على مقتداه والسلام..."[1].

وتطورت مسألة الظهائر ولم تعد تشمل هذا الجانب الرمزي، بل أصبحت هذه الظهائر ذات طابع تدبيري لشؤون الزاوية، يتعلق بتعيين القيمين عليها، أو الفصل في بعض النزاعات التي تنشب بين أبناء الصالحين، كما يثبت ذلك هذا الظهير الذي يعود لبداية القرن السابع عشر، والذي يعين من يتولى امر الزاوية الزعراوية:"... أقررنا بحول الله وقوته... لحملته المرابطين أولاد الولي الشهير سيدي أمحمد بن عامر بن أعمارة بن الولي الصالح سيدي أمحمد الكرن... القاطنين بين قبيلة زمران وحربيل...على ما بأيديهم من ظواهر أسلافنا الكرام... المتضمنة توقيرهم واحترامهم.. لكونهم زوايا معظمين وموقرين... وانعمنا على أخيهم السيد أعمارة بالتقدم على إخوانهم... وأوليناه امر زاوية جده ... فنأمر بالسير على عادة اسلافهم والمجاهدة في طاعة الله واثبتناه في أوائل ربيع النبوي عام 1017"[2].

3- قراءة في بعض الرموز الثقافية المرتبطة بالتصوف.

3.1- الترميز والاستنساخ :

إن الترميز إحدى الدعائم الأساسية لتقوية النص الكرامي وتهيئ المتلقي نفسيا لاستقبال الغريب والعجيب فيه، فبدون الرمز يعتبر النص المنقبي ركيكا. وهي رمزية تعيد تقليد السلف لتأكيد هذه الولاية، فلا يستطيع تجاوز المخيال والموروث الكرامي للأولياء والأنبياء بانفراده بكرامة لا مرجعية لها، لأن من شأن ذلك أن يشكك في مصداقيتها.

لمحاولة فهم مسألة الرمز في الكتابات المنقبية، والخطاب الصوفي عموما، سوف نحاول تحليل إحدى كرامات أولياء المنطقة، حيث تقول هذه الكرامة بأنه لما عسر الحفر على العمال المكلفين بشق الساقية

[1] نفسه، ص. 103

[2] شوقي، صلحاء تساوت، ص. 96

السلطانية، بالقرب من الزاوية الناصرية، استدعوا هذا الولي الذي ضرب بعصاه المكان الذي استعصى على العمال حفره فانساب منه[1].

فهذه الكرامة لا يمكن قراءتها إلا بالتناص مع النص القرآني، حيث قامت باستنساخ الرمز النبوي لموسى عليه السلام (العصى) حين استسقى لقومه فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتي عشر عينا (ما ورد في صورة البقرة الآية 59). وتجدر الإشارة أن مثل هاته الكرامة تتزامن دائما مع فترات الجفاف، فاستحضار رمز هنا يسهل ادماج هذا النص في المخيال الشعبي، وهو الأمر الذي سيكون من الصعب في حال غياب هذا الرمز. فلو قلنا مثلا أنه ضرب بفأس أو بأي أداة أخرى ربما لن تحقق الكرامة الصدى المرغوب. وتجدر الإشارة أخيرا إلى أن كرامة الضرب بالعصا لا تقتصر على أولياء تساوت بل هناك العديد من الأولياء على الصعيد الوطني ذكرت هذه الكرامة في الكتابات المنقبية التي تتحدث عنهم.

3.2- حضور السلطة الوقتية:

من الأمور الأخرى التي نسجلها في كرامات بلاد تساوت، بل في كل النصوص التي تتحدث عن الأولياء في كل مناطق المغرب، فهي ذكر السلطة السياسية، والتي تتجسد في ذكر السلطان (غالبا السلطان الأكحل) أو وزير، وأحيانا نجد بعض ممثلي المخزن. وغالبا ما يتم ذكر هذه السلطة المخزنية في إطار مواجهة أو صراع أو تحدي مع أحد الأولياء، وتنهي هذه الوضعية بكسب الرهان من طرف الولي الذي يمثل السلطة الروحية.

ونمثل لهذا النوع من الكرامات بتلك الكرامة التي تقول بأن السلطان الاسود أراد أن يثبت عجز الولي سيدي بو أمحمد (أولاد أحمد)، فاتاه السلطان بمحلة كبيرة فطلب منه الماء والدقيق، فطلب الولي ذلك من الجبل فأرسل له واد تساوت والواد الأخضر، لكن السلطان، زيادة في اختبار الولي أراد أن يسقي المحلة عسلا، فاتى نحل من الحجم الكبير فبدأ يعض محلة السلطان فولى مدبرا. ولذلك يسمى هذا الولي ب (مول النحلة)[2].

هذه الكرامة تستغل حقائق تاريخية ومجالية لنسج النص الكرامي لجعله شبيه بالحدث التاريخي. السلطة الزمنية (السلطان) التي تشكك وتريد إظهار عجز السلطة الروحية هو ما أدى إلى ظهور الكرامة عند السلطة الروحية (الولي) فانتصر على السلطان بعد أن أصبح مثل الابطال الخارقين يتحكم في قوى الطبيعة.

الغاية من هذه الكرامة هي الارتقاء بالولي إلى قمة الولاية الصوفية على غرار السلطان الذي يوجد في قمة السلطة السياسية، فهذه الكرامة تؤدي وظيفة إعلامية تساهم في زيادة الانبهار بالولي ونشر ذلك بين صفوف العامة.

[1] بن الهاشمي، أساليب الري التقليدي بالحوز الشرقي: أنموذج الساقية السلطانية، م.س.، ص. 80

[2] شوقي، صلحاء تساوت، ص. 51

3.3- دلالات الأرقام في الخطاب الصوفي:

من المسائل التي نجدها تتردد بكثرة في النصوص المنقبية هي الأرقام، فقد ينادي أحد بعدد معين من الصيحات أو قد يأكل عددا معينا من الثمار، أو قد يمكث عددا معينا من الأيام في مكان ما. هذه الإعداد التي تذكر نجدها تتكرر بدورها عند جل أولياء المغرب، ولا يمكن أن تفهم أيضا إلا بالتناص مع نصوص أخرى، حيث نجد هذه الأرقام غالبا سبق ذكرها في القرآن والسنة، وهو ما يضفي عليها بعض المصداقية التي تسهل تقبلها في الأوساط الشعبية.

وكمثال على هذا النوع من الكرامات ندكر ما يقال انه عند زيارة سيدي ادريسي جبان لا يغتسل الزائر ولا يتصلب أحد ولا يحلق شعره ولا يغسل ثيابه لا يخرج وأن يبقى في الحجبة الصغرى والتي تدوم 3 أيام وكبرى 40 يوما ووسطى 7 أيام[1]. وهناك عدة أولياء في بلاد تساوت تحدد مدة زيارتهم في ثلاثة أيام.

خاتمة

مما سبق يتضح لنا أن المقاربة الوظيفية سمحت لنا بفهم كل الأدوار التي لعبها أولياء بلاد تساوت والمغرب عموما، وهي الأدوار التي كان له الأثر الإيجابي الكبير على المجتمع، وقد شملت تلك الوظائف التي قام بها شيوخ الزوايا كل جوانب الحياة، فاقتصاديا عملوا على تطوير الفلاحة واجتماعيا كانوا يوفرون الايواء والطعام، كما يرجع لهم الفضل في نشر التعليم والعلوم الدينية على الخصوص، بالإضافة إلى الأدوار السياسية التي تمثلت في الوساطة والتحكيم.

أما المقاربة الانثروبولوجية فقد مكنتنا من فهم الزاوية في حد ذاتها باعتبارها بنية ثقافية واجتماعية، سواء من حيث المرتكزات التي تقوم عليها قدسية أولئك الشيوخ أو من حيث معرفة العناصر التي يمكن من خلالها تمييز زاوية عن أخرى، بالإضافة إلى تحليل الرموز الثقافية التي يتأسس عليها الخطاب الصوفي.

[1] نفسه، ص. 42

لائحة المصادروالمراجع

❖ مصادرومراجع باللغة العربية:

- إلهي ظهير إحسان، التصوف: المنشأ والمصادر، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط.1، 1986,

- إيكلمان ديل، الاسلام في المغرب، ج 1، ترجمة محمد أعفيف، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1989.

- الحسن شوقي، صلحاء تساوت، دراسة تاريخية، المطبعة والوراقة الوطنية الداوديات مراكش، ط2011/1

- عبد الوارث أحمد، "أولياء تادلا خلال ق. 16 م، ملاحظات أولية"، ضمن ندوة: تادلا: التاريخ، المجال، الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1993، ص57-58

- العروسي عبد الخالق، المرقي في مناقب القطب سيدي محمد الشرقي، تحقيق محمد الشرقاوي بن العربي، طوب بريس، الرباط، ط.1. 2017،

- الكلاباء أبي بكر محمد بن إسحاق، التعرف لمذهب أهل التصوف، بيروت 1993.

- يونس بن الهاشمي، أساليب الري التقليدي بالحوز الشرقي: أنموذج الساقية السلطانية، بحث لنيل شهادة الماستر، جامعة القاضي عياض السنة الجامعية 2015/2014،

❖ مراجع باللغة الفرنسية:

-L. Voinot, « Les Zaouias de Marrakech et de la région voisine », R. G. M., N: 1/ 1937

عرف مجال تساوت العديد من التحولات العامة؛ إذ تميزت منذ القديم باستقرار سكاني، جعلها تعرف دينامية وحركية مستمرة، وميزتها بتراث مادي ولا مادي غني، وتعود تسمية المجال بتساوت حسب ثلة من المؤرخين، إلى أصله الأمازيغي والتي تعني الأطراف والتخوم، ويخترق هذا المجال واد تساوين، وهو عند مارمول كاربخال في كتاب أفريقيا "نهران ينبعان من عينين في جبل غجدامة (الأطلس الكبير) يصبان في واد العبيد"، في حين يرجع الحسن الوزاني في كتابه وصف إفريقيا تساوين إلى: "جبلين بجوار بعضهما البعض، ينبع منهما نهر يجري في سهل بديع ."

أما على المستوى المجالي فقد عرف مجال تساوت عدة تطورات، تتنوع بين الامتداد والتراجع، وبين القوة والضعف، بسبب الوقائع التاريخية التي مر منها باعتباره مجاورا لمدينة مراكش التي حظيت باهتمام الدول المتعاقبة على حكم المغرب. ومن أبرز التحولات التي عرفها مجال تساوت هي تأسيس مدينة قلعة السراغنة، كعاصمة له، كما قال الباحث الحسن شوقي: "إذا كانت مصر هي هبة النيل، فالسراغنة هي هبة تساوت". وقد لعبت هذه القلعة منذ تشييدها دورا استراتيجيا تمثل في مراقبة القبائل المجاورة لها وضبطها، إلى جانب دورها التجاري؛ حيث كانت مركزا لمرور واستراحة القوافل القادمة من الجنوب نحو فاس.

ويزخر هذا المجال بالعديد من الموارد الطبيعية والبشرية القادرة على خلق دينامية وتحقيق التنمية به، وهو ما جعله وجهة لاستقرار التيارات البشرية المتنقلة خاصة خلال سنوات الوفرة؛ إذ يسهم توفر المياه به وخصوبة تربته، في ارتفاع كثافته السكانية، وتعايش العديد من التيارات البشرية المختلفة، حسب العرق (أمازيغ وعرب) وحسب الديانة (مسلمين، يهود، مسيحيين)، كما تتميز المنطقة بالنشاط الفلاحي الذي يعتبر نمط عيش سكان تساوت بامتياز، واشتهرت بزراعة الشعير والقمح والحبوب، بالإضافة إلى تعاطي سكانها أنشطة حرفية وصناعية أخرى.

واشتهر مجال تساوت عبر تاريخه كقبلة للأولياء؛ إذ لا تزال قبورهم المنتشرة بمجاله شاهدة على ذلك. ولعلها الأصل في تسمية المدينة بالسراغنة وهي كلمة أمازيغية تعني الشرفاء، نظرا لانتشار دور القرآن التي كانت الحناجر تصدح بقراءته وتعليمه فيه إلى يومنا هذا .

إن عمق هذه الدينامية المجالية والخصوصية التاريخية للمجال، والخوف من تلاشي آثارها المادية وغير المادية المشكلة لها، جعلنا نهتم بتوثيقها في كتاب جماعي، يؤرخ لهذه التحولات، ويشخص واقعها الحالي، ويساعد في وضع استراتيجية محلية لتنمية مجال تساوت.

عن لجنة التنسيق

" التاريخ، الفن، العمران والرأسمال اللامادي:في إطار مشروع "قلعة السراغنة.. نحو بناء هوية ثقافية

بدعم من وزارة الشباب والثقافة والتواصل قطاع الثقافة

المملكة المغربية
وزارة الشباب والثقافة والتواصل
قطاع الثقافة
Royaume du Maroc
Ministère de la Jeunesse, de la Culture et de la Communication
Département de la Culture

قلعة السراغنة
نحو بناء هوية ثقافية
التاريخ، الفن، العمران والرأسمال اللامادي